تقييم البحوث الاجنبية في الآثار الاسلامية

د. عبد القادر الريحاوي

مخطط البحث

حول بداية اهتمام الغرب بالشرق الاسلامي وآثاره

1 ـ مرحلة جمع الوثائق واقتناء الآثار ـ الدراسات الاولى وكتب الرحلات.

2 ـ مرحلة البحث العلمي المنظم.

أ) التخصص فى فروع الآثار

ب) كتب الفهارس والموضوعات

ج) المجلات والدوريات المتخصصة بالاثار الاسلامية

3 ـ تصنيف البحوث

أ) التنقيب عن الآثار

ب) الدراساتِ المتعلقة بالمدن الاسلامية

ج) النقود وعلم المسكوكات

د) دراسة الخطوط والنقوش الكتابية

هـ) الرنود والشعارات

و) الفن الاسلامى.

1) البحوث العامة

2) فنون العمارة والزخرفة

3) الفنون الصغرى

الخاتمة

في تقييم البحوث والدراسات الاجنبية

مقدمة البحث

حين بلغتنى دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتهيئة هذا البحث استصعبت المهمة واستعظمتها، ورحت أستعرض أمامى ما وضعه العلماء من البحوث على مدى قرنين بل أكثر من الزمان. فاذا هى تعد بالمئات، بل تكاد لا تحصى عدا. وهى متعددة الاشكال والمواضيع، كتب ومقالات ومحاضرات.

وهى منشورة بلغات عديدة أجهل الكثير منها.

وانى وان قرأت بعضا من هذه البحوث بامعان واطلعت على بعضها الآخر أو تصفحته وقرأت جانبا منه، فان كثيرا من هذه البحوث لم يبلغنى سوى عناوينها وأسماء مؤلفيها.

ورحت أفكر بعد ذلك فيما قصد بعبارة البحوث الاجنبية، ماذا تعنى بالضبط ؟ وهل تدخل فيها البحوث التى وضعها الزملاء العرب باللغات الاجنبية ؟ أو ما نشره الاخوة المسلمون من القوميات الاعجمية كالاتراك والايرانيون والهنود وغيرهم. وقد أصبح لهؤلاء اسهام ملحوظ فى دراسة الآثار الاسلامية فى بلادهم.

ولكن رجح عندي أخيرا أن تكون البحوث التى نشرها العلماء الاجانب من غير العرب والمسلمين هى المقصودة بالبحوث الاجنبية.

وكان على بعد ذلك الاحاطة بمفهوم الآثار الاسلامية وما يدخل فى نطاقها من أصول المعرفة والثقافة المتّصلة بالآثار والدراسات الاسلامية عامة. وما يتفرّع عنها مما له صلة بالتراث المادي لحضارة الاسلام.

فلقد اتسعت الدراسات الحديثة المتعلقة بعلم الآثار وتاريخ الفن العالمى واعتمد بعضها على بعضها الآخر. وأصبح لا غنى عن التعاون بين العلماء والمختصين فى هذا المجال ليحدث التكامل ويتحقق الهدف بالوصول الى الحقائق العلمية.

فعلم الآثار وتاريخ الفن، وكذلك الآثار والفنون المعاصرة لنشأة الفن الاسلامى والسابقة لظهوره. ثم أخيرا الدراسات الاسلامية كالتاريخ والدين واللغة والمجتمع وغيرها، كل ذلك يسهم من قريب أو بعيد فى دراسة الآثار الاسلامية ويسهل سبل البحث، وينير الطريق أمام الباحث المتخصص لفهم الاثر الاسلامى وتأريخه ومعرفة وظيفته والبيئة التى أحاطت به.

ولقد رأيت أن أصنف البحوث الاساسية التى تدخل تحت عنوان الآثار الاسلامية كما يلى :

التراث المعماري وفن العمارة والزخرفة ـ التراث العمرانى وما يتصل به من دراسة تخطيط المدينة الاسلامية ـ التنقيب عن الآثار ونتائجه ـ قراءة الخطوط أو ما يطلق عليه الاوربيون الباليوغرافيا « Paléographie » ونقل الكتابات المنقوشة ودراسة نصوصها أو ما يسمى بالايبيغرافى « Epigraphie » دراسة النقود أو ما يسمى المسكوكات « Numismatique » الصناعات الفنية والتحف وما يدخل تحت اسم الصناعات الصغرى.

وبشكل عام كل بحث يتناول معالم الحضارة الاسلامية ونتاجها وآثارها المادية. وهي حضارة عرفت بغناها وتألقها على مدى أربعة عشر قرنا. وانتشرت على مساحة واسعة من الارض، وشملت عديدا من الاقاليم، وأسهمت فى صنعها أقدام من جنسيات مختلفة، وهذا يذكرنى بما نعت به المرحوم زكى حسن الفن الاسلامى حين قال : « انه اطول الفنون عمرا وأوسعها انتشارا ».

ولا بدّ لتقييم الجهد الذي بذله العلماء والاختصاصيون الاجانب من أجل دراسة الآثار الاسلامية، من أن نلقى نظرة شاملة على النشاطات المبذولة فى هذا السبيل والالمام بما نتج عنها من أبحاث[1].

1) مرحلة جمع الوثائق واقتناء الاثار

لا شك أن النشاطات التى قام بها العلماء الاجانب والبحوث التى أنجزوها فى نطاق الاثار الاسلامية قد مرّت بمراحل وتطورت الى أن بلغت مستوى الكمال من حيث الطريقة العلمية والاستقصاء الشامل والدّقة، والعناية بالتفاصيل.

وقبل أن يبدأ العلماء الاجانب بالاهتمام بالآثار الاسلامية كان علم الآثار العام قد بدأ يتطور ويصبح علما قائما على التجربة والتحرير. والمعروف أن هذا العلم الجديد ظهر على مسرح الدراسات الانسانية فى أعقاب عصر النهضة. ولقد اهتم الانسان الاوربى فى البدء بمخلفات الرومان واليونان أو ما يعرف بالآثار الكلاسيكية.

وحينما بدأ الاحتكاك يزداد بين الشرق والغرب فى العصر الحديث وهو احتكاك رافق حركة الاستعمار الاوربى، تمكن الاوربيون مستعمرون وقناصل ورحالة من اقتناء الكثير من مخلفات الحضارة الاسلامية. كان فى عداد هذه المقتنيات نقود ومخطوطات ونقوش ومصنوعات يدوية من سجاد وغيره مما يدخل فى باب التحف. وامتدت عملية الاقتناء والنقل بعد ذلك الى الآثار المعمارية، ونقلت مبان أو أجزاء منها الى اوربا وأمريكا كما نقلت من قبل المسلات المصرية.

وعن طريق هذه المنقولات والمقتنيات التى آل الكثير من مجموعاتها الى المتاحف والمكتبات العامة، تكونت وثائق هامة خدمت أعمال الدراسات. وانصرفت الدراسات فى بادىء الامر على دراسة النقود وتهيئة الكاتالوغات المفيدة عنها. ثم تلا ذلك عملية جمع النصوص الكتابية وقراءة الخطوط المنقوشة على حجارة المبانى وشواهد القبور. وأسهمت الرسوم والمذكرات التى وضعها الرحالة الاوائل فى وصف مدن العالم الاسلامى وآثار عمارتها وصناعتها فى اغناء هاته الوثائق.

---

(1) أذكر هنا بالبحث القيم الذي وضعه رتشارد عالم الاثار المشهور تحت عنوان الفن الاسلامى والاثار الاسلامية المنشور فى كتاب « الشرق الادنى » تأليف كوبلر يانج والذي ترجمه د. عبد الرحمن محمد أيوب :

Cuyler Young : Near east : Culture and Society, Prinston, 1951.

ومهما قيل فى بعد الوثائق والمدونات عن الدقة وجنوحها الى الخيال فى كثير من الاحيان فان الاهمية كبرى فى تعريفنا بأحوال المدن والعمائر التاريخية فى عهد مبكر وقبل أن تمتد اليها يد التبديل والتطوير أو الهدم والتخريب.

أذكر هنا المصور الذي رسمه « بوكوك » لجامع دمشق الاموي خلال رحلته التى قام بها فى عام 1745[2]. فضلا عن أن المخطط كان بعيدا عن الدقة، فان واضعه أضاف من خياله شارة الصليب التى ركبها فوق المآذن والقباب بدلا من الهلال.

كذلك الصورة التى رسمها مجهول لمدينة دمشق حين مرر من وسطها نهر بردى وهو فى الواقع حول أسوارها الشمالية.

لكن المخطط الذي رسمه « بورتر »[3] بعد ذلك لمدينة دمشق فى منتصف القرن التاسع عشر كان أقرب للواقع، ويعتبر أقدم مصور طبوغرافى لمدينة دمشق.

وأذكر فى عداد الكتب الاولى فى الرحلات وأعمال المسح التى لها فائدة فى دراسة الآثار الاسلامية عدا هذين الكتابين :

- رحلة « هومير دوهيل »[4] الى تركيا وفارس التى قام بها بين عام 1846 و 1848.
- كتاب وصف مصر[5] الذي وضع فى أعقاب حملة نابليون الذي نشر فى مطلع القرن التاسع عشر. وقد ضم أصنافه الى النص أطلسا للخرائط وثمانية مجلدات مصورة. وحوى كثيرا من المعلومات عن الآثار الاسلامية الذي نشر بين عامى 1809 و 1828.
- كتاب « مارجوليوس »[6] فى وصف مدن القاهرة والقدس ودمشق المطبوع فى عام 1907.
- كتاب «دولابورد»[7] عن اسبانيا المصور فى مطلع القرن التاسع عشر.
- رحلة « بورتر » الى أرمينيا وايران وبلاد ما بين النهرين المطبوعة فى باريس بين عامى 1842 و 1852[8].

لكننا سنجد فى مطلع القرن العشرين رحلات ذات أهداف علمية محضة يقوم بها عدد من علماء الآثار أمثال « ماكس فان بيرشم » الى سورية[9]. ولم تكن أغراض الرحلة دراسة الآثار الاسلامية فحسب بل مسح عام لسورية.

(2) Pacok's Trasiel : Description of the cast, 2 vol., Londre, 1745.

(3) Porter : Five years in Damascus, Londres, 1855, 2 vol.

(4)

(5) Hommaire de Hell : Voyage en Turquie et en Perse exécuté entre les années 1846-48, 4, vol. Paris, 1855, 60.

(6) Margoliouth : Cairo, Jerusalem, Damascus, Londres, 1907.

(7) De Laborde : Voyage pittoresque et historique de l'Espagne, Paris, 1820.

(8) Texier (C.) : Description de l'Arménie, la Perse et Mésopotamie — 2 vol., Paris.

(9) Von Berchem (M.) : Fatio : Voyage en Syrie, 2 vol., le Caire, 1914.

ومنها أيضا رحلة « الفون أوبنهايم »[10] بين البحر المتوسط والخليج الفارسى، وأذكر بهذه المناسبة الصور الفوتوغرافية التى ترجع الى أواخر القرن التاسع عشر التى نشرها للجامع الاموي قبل احتراقه فى عام 1893 ولقلعة دمشق فى خال أكمل مما هى عليه الآن.

ثم رحلة « سار » و « هيرتر فيلد »[11] الى مناطق الدجلة والفرات.

ورحلة « لوسترانج »[12] عام 1905 الى الشرق العربى.

وتلت هذه الرحلات الفردية بعثات علمية بغرض التنقيب عن الآثار ودراسة مواقع المدن القديمة واطلال المبانى التاريخية، مما سنعود للحديث عنه بعد قليل.

ولا بدّ أن نشير الى لون آخر من ألوان النشاط المتصل بدارسة الآثار الاسلامية غرضه مدّ الباحثين والمتخصصين وتسليحهم بالمعلومات الاساسية مما يدخل فى باب الاستشراق. فكلنا يقدّر مدى الجهد النافع الذي بذله المستشرقون من اجل تحقيق مجموعات ضخمة من أمهات كتب التراث فى تاريخ العالم الاسلامى وجغرافيته وآدابه وعقائده ومجتمعه، وترجمة الكثير من هذه الكتب الى اللغات الاجنبية. وتوطد فيما بعد ما يعرف بالدراسات الاسلامية التى استقطبت حولها جيشا من العلماء والباحثين موزعين فى أنحاء العالم، ملتفين حول الجامعات أو مراكز البحث المنتشرة فى معظم المدن الاوربية والامريكية وفى العديد من عواصم الشرق الاسلامى، ولمعظمها مجلات دورية لنشر نتائج تحريات علمائها وأبحاثهم. سنعود بعد قليل لذكر أهم هذه المجلات.

ولا ننسى أن نشير أخيرا الى لون جديد من ألوان النشاط العلمى يمارسه العلماء فى مجال البحث فى الآثار الاسلامية، ألا وهو المؤتمرات الدولية التى أصبحت تقليدا مألوفا فى شتى فروع الآثار، أذكر فيما يخص منها الآثار الاسلامية هناك مؤتمرا للفن الفارسى، ومؤتمرا للفن التركى[13].

2) البحث العلمى المنظم

أ) التخصص فى فروع الآثار

بدأت دراسة الآثار الاسلامية تنشط بشكل منظم منذ أواخر القرن التاسع عشر وظهر

(10) Von Openheim : Vom Mittelmeer Zum Persischen Golf..., 2 vol., Berlin, 1899-1900.

(11) Sarre (F.) et Herzfeld (E.) : Archeologisch Reise.

(12) Le Strange : The Lands of Eastern Califate, Cambridge, 1905.

(13) لقد أتيح لى الاشتراك فى المؤتمر السادس للفن التركى المنعقد فى مدينة ميونيخ بالمانيا الغربية فى آب من عام 1979. وقد عجبت من عقد مؤتمر تحت اسم الفن التركى، وهو فى رأيى فن اسلامى نشأ فى عهد السلاجقة وفى عهد العثمانيين وهو جزء لا يتجزأ من الفن الاسلامى. وقد ناقشت عددا من العلماء المشتركين فى المؤتمر بهذا الاصطلاح البعيد عن الموضوعية والحقيقة العلمية، فأيد عدد منهم وجهة نظري واشار الى ان مبعثه التعصب القومى وأبديت دهشتى من أن تكون مؤتمرات للفن الفارسى والفن التركى ولا يكون هناك مؤتمر للفن الاسلامى الام، واقترح بعضهم بأن من واجب الدول العربية أن تدعو لمثل هذا المؤتمر.

عدد من العلماء كرسوا حياتهم لدراسة الآثار والفنون الاسلامية عامة، وتخصص بعضهم بمنطقة معينة أو باقليم من أقالى العالم الاسلامى : المغرب، مصر، ايران، الاناضول، الهند الخ ...

وكانت الدراسات غالبا ما تتناول الآثار الاسلامية دون تمييز بين مواضيع الفنون المختلفة كالعمارة والزخرفة والفنون الصغرى العديدة باستثناء الدراسات التى تفرغت لموضوع النقود والكتابات والنقوش، فقد انفردت هذه ببحوث خاصة بها منذ البدء.

وتميزت البحوث الأثرية الاولى بأن العلماء الذين تولوا وضعها كانوا من المستشرقين المختصين بالتاريخ والآداب الشرقية ويتقنون اللغة العربية ولغات شرقية أخرى. أمثال فان بيرشيم.

لكننا نلاحظ فى الفترة المعاصرة اتجاه الابحاث الى التخصص الدقيق ولم يعد بامكان العالم المتخصص أن يلم بكل شؤون الآثار الاسلامية بعد أن توضحت أهميتها وتفرعت وتشعبت مواضيعها، ولم نعد نجد من الكتب العامة الا القليل، مما يستهدف الاغراض الثقافية كالكتب الحديثة التى تعتمد على التصوير واخراج اللوحات الرائعة لنماذج الآثار والفنون مع شرح مبسط. وتصدر هذه الكتب مؤسسات النشر الكبيرة بالتعاون مع عدد من المصورين والاختصاصيين.

ونتج عن التخصص الدقيق ظهور أبحاث على مستوى جيد من الناحية العلمية والتكامل بين عناصر البحث. وأصبح الأثر يدرس ويعالج من جميع النواحى التاريخية والفنية، ويبحث فى وظيفته فى المجتمع والبيئة والظروف التى أحاطت بظهوره الى حيز الوجود. وسوف نعرض فيما بعد نماذج عن هذه البحوث حين نتحدث عن فروع الدراسات فى الآثار والفنون الاسلامية.

ولا شك أن من بين الباحثين أناس تخصصوا فى الفن أو العمارة وآخرون تخصصوا فى الدراسات الاسلامية، وبعضهم من يجمع بين أطراف التخصص.

وقد يحوج الامر كى يتحقق التكامل فى بحث ما أن يقوم تعاون بين عدد من العلماء. وهو تعاون نجده فى العديد من الدراسات المنشورة فى المجلات العلمية والمؤلفات. نذكر على سبيل المثال ما فعله « كريزويل » فى كتابه « العمارة الاسلامية » المبكرة، حين عهد الى العالمة « مرغريت ڤان بيرشيم » بدراسة الفسيفساء فى الجامع الاموي وقبة الصخرة، كما تعاون مع الاسبانى فيكلس ايرنانديس بشأن الاندلس وغيره من العلماء[14].

ومع ظاهرة التخصص وتزايد الباحثين، فقد تكاثرت مواضيع البحث وتشعبت وتناولت كل فروع الآثار وأنواعها. حتى لنحسب أن هؤلاء العلماء لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة مما انتجته الحضارة الاسلامية، الا وعالجوها وكتبوا عنها، مرارا وتكرارا أحيانا، بشكل أو بآخر. على

---

(14) انظر : CRESWELL (K.A.C.) : Early Muslim Architecture, I, II, OXFORD, 1932-40.

هيئة مؤلفات أو مقالات فى مجلات دورية أو بحوث مكثفة فى الموسوعات الخاصة، أو فى منشورات المؤتمرات واللقاءات الدولية.

وهكذا سلطت الاضواء على نواحى الحضارة الاسلامية وما فيها من آثار الصنائع والفنون ونتاج العمران والتعمير، فأبرزت عظمة هذه الحضارة وما حوته من ثروات وروائع، وما قدمته للانسانية من خدمات، وما أسهمت به من رقى فى مستوى المعرفة والفن والتكنولوجيا.

كتب الفهارس والموسوعات

وبما يأتى لن أتمكن من استعراض كل هذه البحوث، ولو فعلت خرج الامر من بحث فى صفحات الى مؤلف يستوعب مجلدات.

ومع ذلك، فان أمر التعرف على هذه البحوث والدراسات يسهل على المختصين، لا سيما وأن مؤسسات البحث الاجنبية وبعض العلماء قد تنبهوا الى هذه المعضلة الناتجة عن تكاثر البحوث وتنوعها فعمدوا الى وضع الفهارس بأسماء المؤلفات والابحاث المنشورة، مقتدين فى ذلك بما فعله ابن النديم فى « الفهرست »، وصبحى خليفة فى « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون ».

وأذكر من هذه الفهارس :

1 ـ كتاب « كريزويل » المشهور[15] فهرس الابحاث المتعلقة بالعمارة والفنون والصناعات الموضوعة حتى بداية عام 1960. وقد استكمل بملحق له للابحاث التى تلت هذا التاريخ وحتى عام 1972. والكتاب ينقسم الى قسمين الاول خاص بالعمارة والثانى عن الفنون والصناعات، والابحاث مصنفة جغرافيا بحسب بلدان العالم الاسلامى جميعها.

2 ـ كتاب « بيرسون »[16] المشهور أيضا فيه احياء للابحاث والدراسات الاسلامية التى نشرت فى المجلات بين عامى 1906 و 1955. ثم تبعته ملاحق توالت حتى عام 1975، ويتضمن قسما خاصا بالفن الاسلامى.

3 ـ وكان ماير[17] قد أصدر فهرسا سنويا لأبحاث الفن والاثار الاسلامية بدأه فى عام 1925 وصدر منه ثلاث مجلدات ثم توقف بسبب الحرب العالمية الثانية.

4 ـ وفهرس ماير[18] عن الكتب والابحاث الخاصة بالمسكوكات.

5 ـ وهناك النشرة الاحصائية[19] الملحقة بمجلة الدراسات الاسلامية (R.E.I.) التى تصدر فى

---

(15) Creswell (K.A.C.) : A Bibliography of Architecture, Arts, and Crafts of Islam to 1960, Cairo, 1960.
Supplement (1960-1970), Cairo 1973.

(16) Pearson (J.D. : Index Islamicus, 1906-1955, Cambridge, 1958.
4 supplement 1956-1975.

(17) Mayer (L.A.) : Annal Bibliography of Islamic Art and Archeology.

(18) Mayer (L.A.) : Bibliography of Muslim Numismatics, Londres, 1954.

(19) Abstracta Islamica (Bibliographie selective portant à la fois sur les périodiques et les ouvrages, publié par (R.E.I.) depuis 1927.

باريس باشراف المركز الوطنى للبحث العلمى، وتحتوي على تعريف بالابحاث والمؤلفات المتعلقة بالفنون والاثار الاسلامية.

ان أهمية هذه الفهارس لا تقتصر على تيسير الاطلاع على المصادر، بل لتوفر الكثير من الجهد والوقت الذي قد يضيع فى معالجة موضوع سبقت دراسته من قبل علماء آخرين، ربما بشكل كامل.

هذا من حيث الفهارس، كذلك لا بدّ من الرجوع الى الموسوعة الاسلامية[20] المطبوعة باللغتين الانجليزية والفرنسية[21]، فهى تضم كثيرا من المقالات عن الاثار والفنون الاسلامية فى كل مواضيعها.

هذا بالاضافة الى الموسوعات العالمية الاخرى التى لا تخلوا من بحوث تتصل بالدراسات الاسلامية والعالم الاسلامى مما يهم الاثار الاسلامية.

وهناك كتاب « زامباور »[22] الذي يلخص تاريخ الاسر الحاكمة والدول الاسلامية مع لوائح لتعادل التواريخ الهجرية والميلادية. وهو مترجم الى الفرنسية والعربية. ويماثلان الموضوع كتاب « بوزورث »[23] المنشور فى ادنبرة عام 1967.

ج) المجلات والحوليات المتخصصة بالاثار والدراسات الاسلامية

لا بدّ أيضا من الرجوع الى فهارس المجلات والحوليات العالمية المتخصصة بالدراسات الاسلامية بشكل عام أو بالاثار والفنون الاسلامية بشكل خاص، والتى تصدرها الجامعات أو المتاحف أو مؤسسات البحث العلمى فى كثير من بلدان العالم وبما فى ذلك المجلات التى تصدر فى الشرق الاسلامى، لان العلماء الاجانب يسهمون فى تحرير أبحاثها أيضا وذلك للتعرف على البحوث الاجنبية. ونذكر فيما يلى أهم هذه المجلات :

1 ـ الفن الاسلامى[24] التى تصدرها جامعة ميشيكان فى الولايات المتحدة الامريكية منذ عام 1934 والتى تحول اسمها منذ عام 1954 الى مجلة الفن الشرقى[25].
2 ـ « الاسلام » التى تصدر فى برلين[26].
3 ـ الدراسات الاسلامية[27] التى تصدر فى باريس (S.I.).
4 ـ الدراسات الاسلامية[28] (R.E.I.) التى تصدر فى باريس ايضا.

---

(20) Encyclopédie de l'Islam — Leyde, 1° 1913-1942.
2° 1954 ...

(21) Shorter Encyclopedy of Islam, Leyden 1953.

(22) Zambawr Manuel de généalogie et de Chronologie.

(23) Bosworth (C.E.) : Ther Islamc Dynasties, Edinbourg, 1967.

(24) Ars Islamica, 1934-1954, Ars Orientales, 1954 —... Michigan, U.S.A.(25)

(26) Der Islam.

(27) Etudia Islamica (S.i), Paris.

(28) Revue des Etides Islamiques (R.E.I.), Paris.

5 ـ مجلة الدراسات الشرقية[29]، ويصدرها المعهد الفنى للدراسات العربية فى دمشق.
6 ـ مجلة المعهد الفرنسى للاثار بالقاهرة[30].
7 ـ الاندلس[31] ويصدرها معهد الدراسات العربية بالاشتراك مع معهد غرناطة.
8 ـ حوليات معهد الدراسات الشرقية فى الجزائر[32] (توقفت عن الصدور قبيل استقلال الجزائر).
9 ـ مجلة المدرسة البريطانية للدراسات الشرقية والافريقية[33]، الصادرة فى لندن.
10 ـ مجلة معهد الاثار الالمانى فى القاهرة[34].
11 ـ المجلة الآسيوية التى تصدر فى باريس[35].
12 ـ مجلة الفن الشرقى والاثار « سوريا »[36] وكان يصدرها المعهد الفرنسى للاثار فى بيروت منذ عام 1920 وتطبع فى باريس.
13 ـ مجلة متحف الفن فى المتروبوليتان[37].
14 ـ مجلة فنون الشرق الالمانية[38].

واضافة لهذه المجلات التى تقدم ذكرها، فان هناك مجلات عديدة أخرى نجد بين طياتها أبحاثا تتصل بالاثار الاسلامية، وان لم تكن اسماء المجلات توحى بذلك أو مكرسة لهذا الاختصاص. أذكر منها مجلة « اركولوجيا » التى تصدر فى انجلترا و « آبولو » الصادرة فى بريطانيا كذلك والمجلات الصادرة فى البلدن الاسلامية، كالحوليات الاثرية السورية وسومر فى العراق وحوليات فى تونس وفى تركيا وايران وأفغانستان.

3) تصنيف البحوث

سنقوم الآن باستعراض البحوث الموضوعة فى فروع الاثار والفنون الاسلامية والاطلاع على الهام منها، مسلطين الاضواء على أعلام الباحثين ومن اشتهر منهم فى فن أو علم. وبينهم المستشرقون الطليعون فى الدراسات الاسلامية بشكل عام وبينهم المهندسون ومؤرخوا الفن ومحافظو المتاحف. وفيهم من تخصص فى اقليم من أقاليم العالم الاسلامى وآثاره، أو عصر من عصور الاسلام، أو فن من الفنون والصناعات.

---

(29) Bulletin des Etudes Orientales (B.E.O.), Damas.
(30) Bulletin de l'Institut Français de l'Archéologie Orientale (B.E.F.A.O.), Le Caire.
(31) Al-Andalus, Madrid.
(32) Bulletin de l'Institut des Etudes Orientales, Alger.
(33) Bulletin of the British scool of oriental and African Studies (B.S.O.A.S.) Le Caire.
(34) Mitteillungen des Deutschen Archeologischen Instituts, Kairo.
(35) Journal Asiatique (J.A.), Paris.
(36) Syria.
(37) The Metropolitin Museum of Art Bulletin.
(38) Kunst des Orients.

ولذا فانى أرى أن يكون عرضنا لهذه البحوث وفق المنهج التالى :

أ) البحوث المتعلقة بالتنقيب والتحري عن آثار المدن والعمائر.
ب) الدراسات الخاصة بالمدن الاسلامية وتنظيمها.
ج) المسكوكات.
د) دراسة الخطوط والنقوش الكتابية.
هـ) الرنوك والشعارات.
و) الابحاث العامة حول الفن الاسلامى.
ز) فنون العمارة وما يتصل بها.
ح) الفنون الصغرى.

أ) التنقيب عن الآثار

لفتت الرحلات الاولى الانظار الى كثير من مواقع المدن والقصور والقلاع فى أكثر بلدان الشرق الاسلامى. ونشطت أعمال الحفريات، وكانت لا تخلوا فى البدء من المشاق والمخاطر، فى اليمن والاناضول وأفغانستان وبادية الشام وبلاد الرافدين واسبانيا وشمال افريقيا.

وقد أشرنا الى بعض كتب الرحلات الاستكشافية. لكننا نودّ هنا أن نبرز أعمال بعثات التنقيب، وما نتج عنها من بحوث هامة فى الكشف عن معالم حضارية وأغنت معلوماتنا فى كثير من جوانب التاريخ الاسلامى لا سيما ما يتعلق بتاريخ العمارة والفنون الصغرى، ذلك أن الاثر الذي يكتشف فى مواقع التنقيب، يعتبر وثيقة ذات شأن فهى أدلة محسوسة بعيدة عن ذلك.

ونذكر فيما يلى شيئا من نتائج التنقيب التى تمت فى هذا القرن فى عدد من مراكز الحضارة الاسلامية، تولاه مجموعة من العلماء المشهورين أمثال سار وهرتز فيلد وريقتال وايرناندز وشلومبر جيه وحرزيل وسافنياك وايرناندز ومارغريت فان برشيم وغرابار وغيرهم ممن نقبوا واكتشفوا الكثير من المعالم فى خرائب الزهراء والجعفرية وفى قلعة بنى حماد الجزائري وسدراتا فى صحراء الجزائر الجنوبية، وقصور الامويين الحير الشرقى والحير الغربى واسيس وخربة المفجر وقصير عمرا، وفى آثار الكوفة وسامرّاء ويالس وفى مدن نيسابور والري واصطخر، وفى أفغانستان والتركستان.

وأذكر فيما يلى نماذج لهذه البحوث التى تم نشرها حول هذه المكتشفات.

- كتاب عن قلعة بنى حماد الجزائري[39] وصنعه فى مطلع هذا القرن الفرنسى ليك.

---

(39) Beylic L. de : La Kalaaa des Heni Hammad, une Capitale berbère de l'Afrique du Nord au XI siècle, Paris, 1909.

- مقالات كاترين أوتودورن عن أعمال التنقيب فى الرصافة الاموية فى بادية الشام المنشوة فى مجلة الحوليات السورية وفى مجلات أخرى أجنبية[40].
- ولأوتودورن نشاطات أخرى فى ايران فى ميدان التنقيب[41].
- تقرير توريس بالباس عن حفريات مدينة الزهراء فى الاندلس[42].
- تقارير مارغريت ڤان بيرشيم عن اكتشاف « سيدراتا »[43] المدينة الواقعة فى صحراء الجزائر الجنوبية نشرت فى عدد من المجلات بدءا من 1950.
- حفريات شلومبر جه فى قصر الحير الغربى - بادية الشام.
- تقارير غرابار عن أعمال التنقيب فى قصر الحير الشرقى - بادية الشام[44] المنشورة فى مجلة الحوليات السورية وفى مجلة (آر أوريانتال)[45].
- تقارير وأبحاث هيرز فيلد عن سامراء[46].

ب) الدراسات المتعلقة بالمدن الاسلامية

لم يكتف علماء الاثار بسبر غور المدن الميتة ومواقع الخرائب والاطلال بل اهتم عدد منهم بدراسة المدينة الاسلامية بشكل عام ومدن اسلامية عديدة ما تزال من حواضر العالم الاسلامى. وذلك من حيث تخطيطها وتطوره عبر العصور، ومن حيث تاريخها الاقتصادي والاجتماعي والعمرانى وحفلت دراساتهم بالخرائط التي تعتمد على المسح الجوّي والتصوير. ووضعت مؤلفات عديدة تميز أهمية المدن الاسلامية وأعدت اطالس عن عدد كبير من هذه المدن. أذكر منها أطلس الشرق الاوسط (T.A.V.O.) الجاري اعداده من قبل مجموعة من العلماء الالمان، وتجري طباعته فى « Wiesbaden » ويشمل المدن الاسلامية الواقعة بين مصر وأفغانستان.

ومن الابحاث الهامة حول المدن الاسلامية أذكر ما يلى :

1 - كتاب « جورج مارسه » عن مفهوم المدن الاسلامية بشكل عام[47].
2 - كتاب «حوراني وستيرن» عن المدينة الاسلامية[48].
3 - بحث « كليرجه »[49] عن الصفات المشتركة بين المدن العربية فى الشرق الاسلامى.

---

(40) Otto Dorn (K.) Grabung in Umayyadischen Rusafah, Ars Islamica II, 1957.
(41) Otto Dorn (K.) : Grabung in Kobadahad, Archoologische Anzeiger, N° 2 et 4, 1966-1969.
(42) Torres Balbas (L.) : Excavationes en Medinat al-Zahra ; Al-Andalus, XI, 1946.
(43) Berchem (Marguerite Van) : deux campagnes de fouilles sur le site de l'ancienne Cité musulmane de Sédrata dans le sahara algérien. Bulletin Archéologique, 1954.
(44) Schlumberger : (D) : Les fouilles de Gasr el Heyr el-Gharbi, Syria, XXIV, 1952.
(45) Grabur (O.) : Three season of excavations at Qasr al-Aayr Sharqi, Ars Orientalis, VII, 1970.
(46) Herzfeld (ernest) : Geschichte der Stadt Samarra, Berlin 1948.
(47) Marçais (G.) : Conception des villes dans l'Islam, Alger, 1945.
(48) Hawrani (A.H.) and Stern (S.M.) : The Islamic City, Oxford, 1970.
(49) Clerget : de quelques caractères communs et distinctifs des villes arabes dans l'Orient Médiéval, Bull. de la société royale de Géographie d'Egypte, XVIII ; 1934.

هذا من حيث الدراسات العامة، وهناك دراسات خاصة لعدد من المدن نذكر منها :

1 ـ كتاب « البير غابرييل »[50] عن مدينة بورصة التركية.
2 ـ كتاب « فاتزنجر وولزنجر » عن مدينة دمشق[51].
3 ـ بحث « سوفاجه »[52] عن مدينة دمشق.
4 ـ كتاب « سوفاجه »[53] عن مدينة حلب.
5 ـ كتاب « ليزين »[54] المتخصص بآثار شمال افريقيا عن مدينة المهدية، تونس.
6 ـ بحث وضعه حديثا « هانين قاوبة »[55] الاستاذ فى جامعة تربينتن بالمانيا الغربية عن المدن الايرانية.

ج) النقود الاسلامية أو ما يعرف بعلم المسكوكات

بدأ الاهتمام بالنقود الاسلامية فى وقت مبكر، فمنذ القرن الثامن عشر كانت قد تجمعت فى المتاحف الاوربية والامريكية مجموعات من النقود هيأ لها المختصون كاتالوغات مصورة ووصفوا أول الدراسات عنها. ويقال بأن أقدم بحث فى النقود الاسلامية البحث الذي وضعه « جورج كير »[56] فى عام 1724.

ويأتى فى طليعة المختصين بالنقود الاسلامية « ستا نلي لين بول » الذي وضع أحد عشر مجلدا عن النقود الشرقية الموجودة فى التحف البريطانى بين عامى 1875 و 1890، ثم تكاثرت البحوث فى القرن العشرين مع تزايد الاكتشافات فى أنحاء العالم الاسلامى وظهور المجموعات الهامة فى المتاحف. مما أحوج العالم البريطانى « ماير » لأن يضع فهرسا أو سجلا فى البحوث والمؤلفات المنشورة حتى عام 1934[57].

وهناك دراسات أحدث ما يزال يتابعها العلماء أمثال « غرابار »[58] وبالوج[59] وغيرهم. ولن أتوسع فى موضوع النقود، فقد بلغنى بأن أحد الزملاء يعد بحثا خاصا لمؤتمر الاثار الاسلامية فى صنعاء حول النقود.

---

(50) Gabriel (A.) : une Capitale Turque — Brousse — 2 vol. Paris, 1958.
(51) Watzinger und walzinger : Damascus, vol. I, Oslamisch Leipzig, 1924.
(52) Sauvaget : Esquisse d'une histoire de la villa de Damas, REI, 1934.
(53) Sauvaget : Alep — Essai sur le developpement d'une grande ville syrienne, des origines au milieu du XIXè siècle, Paris 1947.
(54) Lézine (A.) : Mahdia, Paris, 1965.
(55) Gaube (H.) : Iranian Cities, New-Yourk University preso, 1979.
(56) George Kehr (J.) : انظر كتاب الشرق الادبى المتدم ذكره ص
(57) Mayer (L.A.) : Bibliography of Moslim Numismatics, Londre 1939.
(58) Grabar (O.) : The Coinage of the Tulunids, New-York, 1957.
(59) Balog (P.) : The Coinage of the Mamluk sultans of Egypt and Syria, New-York, 1964.

د) دراسة الخطوط والنقوش الكتابية

يدخل فى هذا الموضوع فرعان من فروع علم الاثار يتصلان باللغة والخط. يتناول الاول قراءة الخطوط وفك رموزها، وهو ما يطلق عليه علم البليوغرافيا « Paléographie ». ويختص الثانى بقراءة النصوص المنقوشة على المبانى وشواهد القبور والاختام والرنوك والمنسوجات ونشرها فى كاتالوكات أو سجلات، لتكون مرجعا أساسيا لدراسة الاثار الاسلامية، ولا سيما تاريخ العمارة. ونذكر فى طليعة العلماء المختصين فى هذا الفرع من الدراسات.

1 ـ العالم النمساوي « الفون كاراباسيك » الذي نشط بين القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، واهتم بدراسة الخط العربى والرنوك والنقوش الخطية الموجودة بالمنسوجات وغيرها.

2 ـ العالم السويسري « ماكس فان بيرشيم »[60] اشهر الشخصيات الادبية التى عنيت بتجميع النصوص المنقوشة باللغة العربية. وفان بيرشيم يعد من أكبر علماء الاثار الاسلامية فى النصف الاول من هذا القرن، قضى معظم وقته فى القاهرة. وانكب على تهيئة سجل الكتابات العربية (الكوربوس) المشهور الذي جمع نصوصا من مصر والشام والاناضول، وتوفى فان بيرشيم عام 1921، دون أن يتم العمل فى هذا السجل، فأتم العمل زميله « سوبرنهايم » وعاون هذا الاخير العالم « هيرتز فيلد » الذي استمر فى العمل بعد وفاة سوبرنهايم، ولقد طبعت من هذا السجل أجزاء تخص سورية الشمالية وحلب وآسيا الصغرى وبقية أجزاء مخطوطة لم تنشر بعد.

ثم تعاون « فييت وسوفاجه » فأخرجا المجلد الخاص بمصر والسجل الخاص بالكتابات العربية[61] التى تم جمعها من أنحاء العالم الاسلامى ونشرت حسب التسلسل الزمنى، نشر منها ستة عشر جزءا حتى الآن تغطى العهود التاريخية حتى أواخر العهد المملوكى.

وينشط الان عدد من الاختصاصيين لنشر ما لم ينشر بعد من الكتابات العربية ولا سيما ما يخص العهد العثمانى أو ما أهمله السجل السابق الذكر أو ما اكتشف حديثا من النصوص. نذكر من هؤلاء العالمة جانين سورديل تومين، أستاذة الدراسات الاسلامية فى جامعة السوربون بباريس، والاستاذة سولانج أورسى أستاذة الدراسات فى جامعة السوربون بفرنسا التى نشرت حديثا كتابا عن شواهد القبور فى أسوان بمصر وآخر عن شواهد القبور فى مقبرة فى دمشق، ويلاحظ بأن هذه الدراسات تتم بالتعاون مع اختصاصيين وطنيين.

وهناك الاستاذ « هايني غادبه » الذي يهتم أيضا بنشر النصوص وقد نشر حديثا كتابا عن الكتابات غير المنشورة فى سورية تخص العهد العثمانى.

---

(60) Berchem (Max Van) : Matériaux pour un Corpus inscriptions arabicanum.

(61) Répertoire chronologique d'Epigraphie Arabe, 16 vol., le Caire, 1931-1964.

وفى مناطق أخرى من العالم الاسلامى علماء كرسوا وقتهم لجمع الكتابات ودراستها. نذكر منهم :

1 ـ ليفى بروفنسال[62] الذي اهتم بجمع الكتابات الاندلسية ودراستها.

2 ـ السيدة « ڤيرا كراتشكوفسكى » التى تعنى بنشر الكتابات العربية فى جمهوريات الاتحاد السوفييتى[63].

3 ـ وهناك من يهتم بنشر الكتابات فى الهند[64] وايران ومختلف مناطق العالم الاسلامى النائية.

أما ما يتعلق بدراسة الخطوط ـ باليوغرافيا ـ فهناك علماء مارسوا هذا الاختصاص الدقيق، وبرز منهم أمثال :

ـ مس أبوت فى كتاب نشأة الخط العربى الشمالى[65]، وخاطب[66]، وكثير غيرهم[67].

هـ) الرنوك والشعارات

اهتم علماء الاثار الاسلامية بالرنوك كعنصر تاريخى له أهميته فى تاريخ المبانى والقطع التاريخية وفهم وظيفتها، وما يتعلق بها من ظروف اجتماعية وسياسية.

وظهرت فى هذا الاختصاص مؤلفات هامة نذكر منها :

1 ـ كتاب « أرتين باشا »[68] الذي ظهر فى أواخر القرن الماضى كأول بحث فى هذا الموضوع.

2 ـ كتاب « ماير »[69] الذي نشر فى عام 1933 عن الرنوك الاسلامية ثم نشر أبحاثا أخرى فيما بعد عن الرنوك المملوكية فى عدد من المجلات[70].

ويتابع حديثا قليل من العلماء فى الاثار الاسلامية هذا الموضوع، أذكر أبحاثا نشرها ميشيل مانيكه عن الرنوك فى :

و) الفن الاسلامى

مع ظاهرة تقدم الدراسات المتعلقة بالفنون وتاريخ الفن بشكل عام، أخذ العلماء فى الاثار الاسلامية يعالجون مواضيع الاثار الاسلامية من وجهة النظر الفنية، فكل ما صنف الانسان

---

(62) Levi Provinçal : Inscriptions arabes d'Espagne, Paris, 1934.

(63) Vera Kratchkovesky :

(64) Horowitz (G.) : Epigraphia Indo-Moslemica.

(65) Miss Abbot : Rise of the North Arabic script. Chicago, 1939.

(66) Vajda (G.) : Album de paléographie arabe, Paris 1958.

(67) أمثال : غروهمان وسايت وهورتيز وكونيل وليفى ديلافيدا.

(68) Artin Pacha (Yacoub) : Contribution à l'étude de blazan en Orient, Londre 1902.

(69) Mayer (L.) : Saracenic Herabry, Oxford, 1933.

(70) Mayer (L.) : New Material for Mamluk Heraldry, J. of the Palestine Oriental Society XVII, 1937.

خلال العهود الماضية كان يتوفر فيه الجمال ودقة الصنعة، فهو نتاج الا ما ندر، سواء كان مصنوعا للاستعمال اليومى، أو للزينة.

ولم تكن الدراسات المتعلقة بالفن الاسلامى منفصلة عن الفنون الاخرى السابقة أو المعاصرة، بل متممة لها. ويلاحظ بأن الدراسات فى البدء كانت تتناول الفنون الاسلامية عامة وتعالجها كأنها وحدة لا تتجزأ، من حيث المكان أو الزمان أو الموضوع.

وكان لهذه الدراسات العامة فائدتها من حيث كونها تعطى فكرة شاملة ومتكاملة عن حضارة الاسلام، أو حضارة عهد من عهوده أو اقليم من أقاليمه. وكان لهذه الدراسات العامة شأن خاص فى تسليط الاضواء على أهمية الفن الاسلامى كفن قائم له خصائصه ومميزاته. ويتصف بالوحدة بين نتاجه كله.

ولكن مع تقدم البحث العلمى وكثرة المهتمين بالاثار الاسلامية أصبح لامندوحة من التخصيص الدقيق.

أدى التخصص الى تقسيم الفنون الاسلامية الى فرعين رئيسيين كبيرين هما :

1 ـ فن العمارة وما يتبعها من الفنون الزخرفية، كالنحت والتصوير (الفريسك) والفسيفساء، والنقش على الخشب والجص والرخام.

2 ـ الفنون الصغرى أو ما يمكن تسميته بالاثار المنقولة، كالزجاج والفخار والخزف والعاج والمنحوتات والرسوم (المينياتور) والمعادن والسجّاد وغير ذلك مما يتصل بالمادة التى تنتمى اليها القطعة الفنية أو الوظيفة التى صنعت من أجلها.

سوف نستعرض الابحاث المتعلقة بالفن الاسلامى ضمن هذا التقسيم مبتدئين بالابحاث العامة ثم بالابحاث الخاصة بالعمارة والزخرفة ثم بالابحاث الخاصة بالفنون الصغرى لنتمكن من تقييم هذه الابحاث والتعرف على مميزاتها وخصائصها.

1) البحوث العامة فى الفن الاسلامى

لقد خطت الدراسات الاولى للفن الاسلامى بما يمكن تسميته بالعلماء الموسوعين الذين ألموا بجميع نواحى الفن الاسلامى وكتبوا عنه الموسوعات التى تضم كل أنواع الفنون فى سائر أقطار العالم الاسلامى، أو فى قطر منه.

ومن هؤلاء العلماء فريديريك سار وكونيل وديبز وسلادان وميجون ومادسن وتاليوت رايس وكاترين أوتودورن، وسفاجيه وهيرتز فيلد الذين ملاوا مكتبة الاثار الاسلامية بأبحاثهم ومؤلفاتهم.

« فريديريك سار » كما يقول « ايتنجهاوزن »، كتب نحوا من مئتى كتاب ومقالة فى الفن الاسلامى، مما دعى الى وضع مجلد خاص لبحوثه[71].

(71) Schmidt (J.) : Frederich Sarra Schiften, Berlin, 1932.

وفيما يلى أذكر نماذج للمؤلفات والابحاث الموضوعة فى الاثار الاسلامية ذات المواضيع العامة.

- كتاب سالادان[72] وهو من جزأين أحدهما للعمارة والآخر للفنون الصغرى.
- كتاب ميجون[73].
- كتاب مارسه[74] ويتألف من جزأين. ووضع مارسه كتابا آخر مختصر عن فنون الاسلام[75] طبع مرتين يفيد فى أخذ فكرة سريعة عن الفن الاسلامى عامة.
- كتاب « كونيل »[76] الموضوع باللغة الالمانية ومترجم الى أكثر من لغة.
- كتاب « تالبوت رايس » الفن الاسلامى[77]، مترجم الى الفرنسية.
- بحث وضع بوركارت حول خصائص الفن الاسلامى[78].
- كتاب « كاترين أوتودورن » الفن الاسلامى[79] مترجم الى الايطالية والفرنسية.
- كتاب « جانين ودوفيل سورديل » عن الحضارة الاسلامية[80] الذي وضع حديثا فانه يحتوي على معلومات هامة حول مختلف فروع الاثار الاسلامية فى القرون الأولى للتاريخ الاسلامى.

وهناك مقالات كثيرة نشرت فى المجلات والحوليات تعالج موضوع الفن الاسلامى بشكل عام أو فى بلد من بلدان العالم الاسلامى[81]، لا مجال لاحصائها لكننا نشير الى نوع من الكتب الحديثة ذات الطابع الثقافى والتى تعنى بالتصوير والاخراج الجذاب أكثر من عنايتها بالنص والبحث العلمى وهى تتوخى عرض نماذج رائعة تمثل مختلف نواحى الفنون الاسلامية، نذكر على سبيل المثال :

كتابا تحت عنوان « الفن العربى »[82] صدر باللغتين الانجليزية والفرنسية وبحجم كبير. وأسهم فى اخراجه « Prisse d'Avenne و Bourgoin » وهو فى أربع مجلدات أحدهما للنص.

وحين نتناول كتابا من الكتب العامة الموضوعة تحت عنوان الفن الاسلامى، نجد اختلافا بينها من حيث الاسلوب والطريقة، بعضها يركز على الفنون المعمارية، وبعضها الآخر على الفنون الصغرى، وبضعها يعنى بآثار الشرق، ايران، تركستان، أو المغرب، الى غير ذلك من الاتجاهات.

---

(72) Saladin (H.) : Manuel d'Art Musulman, Paris 1927.
(73) Migeon : Manuel d'Art Musulman, Paris, 1927.
(74) Marçais : L'art de l'Islam, Paris, 1946-1962.
(75) Marçais : Manuel d'Art Musulman ; 2 vol. Paris 1926.
(76) Künel (E.) : Die Kunst des Islam, Schtutgart, 1962.
(77) RICE Talbot : The Islamic art, world of art, New-York — 1965 — Paris 1967.
(78) Burkhart : Généralités sur l'art musulman — Etudes traditionnelles, XLVIII ; Paris 1947.
(79) Otto-Dorn (K.) Kunst des Islam, Baden-Baden, 1964, Milano — 1967.
(80) Sourdel (J. et D.) : La civilisation de l'Islam Classique, Paris, 1968.
(81) Torres Balbas : Almoravide y Almohaide, Madrid, 1955.
(82) Arab art — Rare Masterpeaces of Arab and Islamic Arts and Architecture.

2) فنون العمارة والزخرفة

قلنا أن الدراسات فى الفن الاسلامى عرفت فرعين رئيسيين هما العمارة والفنون الصغرى. أما العمارة فقد لفتت أنظار الغربيين منذ وقت مبكر، لما تتميز به من خصائص وصفات فنية جذابة تميزها عما ألفه الغربيون فى ديارهم. وبدأ الاهتمام بالعمارة الاسلامية يظهر فى كتب الرحلات وفى وصف وتصوير كثير من المبانى التاريخية فى الشرق الاسلامى، مما أتينا على ذكر أمثلة له.

ثم وضعت باكورة المؤلفات عن العمارة الاسلامية فى مطلع القرن التاسع عشر، فبعد كتاب وصف مصر الذي وضع فى أعقاب حملة نابوليون، كما رأينا والذي ضم الكثير من الملاحظات والصور والخرائط عن المبانى الاسلامية، وضع « باسكال كوست » كتابا سماه « العمارة العربية » واهتم بمبانى القاهرة بشكل خاص نشر فى عام 1839، وفى منتصف القرن التاسع عشر أخرج كتابا آخر عن العمارة الفارسية.

كذلك استحوذت عمائر الاندلس على اعجاب الغربيين، فوضعت عنها الدراسات منذ عهد مبكر. نذكر منها كتاب « جيمس مورفى »[83] وكتاب « جيرولت دوبرنجى »[84].

ولكن الدراسات المعمارية القائمة على البحث والدقة العلمية لم تظهر قبل بداية القرن العشرين، حين وضع « ريفوارا » كتابه عن العمارة الاسلامية[85] ونشر باللغتين الطليانية والانجليزية. ثم تكاثرت الابحاث والمؤلفات، وتعددت حول العمارة والزخرفة وأصبحت تؤلف أضخم فروع الدراسات فى الاثار والفنون الاسلامية. ونلاحظ بأن مواضيع العمارة والابحاث الموضوعية حولها أصبحت تعالج على أشكال متعددة. فمنهم من درس فن العمارة الاسلامية كوحدة ودرس تطورها وخصائصها فى كل العهود والبلدان، ومنهم من تخصص فى دراسة عمائر اقليم من أقاليم العالم الاسلامى لوحدة أو مدينة من المدن. ومنهم من ميز بين عمارة دينية وأخرى مدنية وثالثة عسكرية. ومنهم من درس الاثار المعمارية بحسب وظيفتها الاصلية، فهناك المدارس والحمامات والمساجد والخانات والقصور. ومنهم من انكب على دراسة بناء بمفرده. أو عنصر من عناصر العمارة والزخرفة.

وهكذا حفلت مكتبة الاثار الاسلامية، اذا صح التعبير بأنواع وأصناف من البحوث. وعلى هذا الاساس من التخصص الدقيق أصبحت البحوث تتصف بالدقة العلمية والموضوعية والتكامل والعمق.

وأسهم فى هذه الدراسات مهندسون ومؤرخو الفن وعلماء فى الدراسات الاسلامية.

---

(83) Murphy (J.C.) : Arabic Antiquity of Spain.

(84) Girault de Brangey : Monuments Arabes et Moresques, Paris 1841.

(85) Rivoira (G.T.) : Architectura Musulmana, Milano 1914, Londre, 1918.

وسوف نستعرض أمثلة ونماذج عن هذه الدراسات مصنفة كما يلي :

أولا : البحوث ذات الصفة العامة.
ثانيا : البحوث المتخصصة باقليم أو منطقة أو مدينة.
ثالثا : البحوث المتخصصة بموضوع معين.
رابعا : البحوث المتخصصة ببناء بمفرده.
خامسا : البحوث المتخصصة بعنصر من العناصر المعمارية أو الزخرفية.

أولا : من الكتب التى تمثل الصنف الاول نذكر ما يلى :

1) كتاب « كريزويل » حول العمارة فى العهود الاسلامية الاولى[86] ويتألف من مجلدين ضخمين أحدهما للعصر الاموي والثانى للعصر العباسى والاموي فى الاندلس.

ويعتبر كتاب كريزويل هذا من أكمل البحوث وأدقها فى العمارة الاسلامية، لما حققه من التوفيق بين المعلومات التاريخية والهندسية بالصور والرسوم والمخططات المتقنة الاعداد. وقد أعاد كريزويل طباعة الجزء الاول. طبعة مزينة ومنقسمة، كما وضع له خلاصة[87] مفيدة يسهل تداولها والافادة منها.

- كتاب غرابار عن العمارة الاسلامية وزخارفها[88] ويلاحظ بالرغم من الاسم العام للكتاب أنه يعنى بشكل خاص بالعمارة فى ايران وآسيا الوسطى والاناضول.
- كتاب « هوغ »[89] الموضوع بالانجليزية والمترجم الى الايطالية.
- وكتاب العالمين « سيرتوس »[90] حول التصاميم والالوان فى العمارة الاسلامية.

ثانيا : أما البحوث التى تمثل الصنف التالى أو العمارة المتعلقة باقليم أو مدينة فنجد أمثلة لها فى المؤلفات والبحوث التالية :

1) كتاب كريزويل عن العمارة فى مصر[91].
2) كتاب مارسه[92] عن العمارة الاسلامية فى المنطقة الغربية.
3) كتاب براون[93] عن العمارة فى الهند.

---

(86) Greswell (K.A.C.) : Early Muslim Architectur, Vol. I, Oxford, 1932.
2è édi. : 1969. Vol. II, Oxford, 1940
(87) Greswell (K.A.C.) : A Short Account of Early Muslim Architecture, Londres 1958.
(88) Grabar (O.) and Hill (D.) Islamic Architecture a, d its decorations, Londres 1967.
(89) Hoag (J.D.) : Islamic Architecture, (ad. Ik.) : Storia uni della Arch. 1975.
(90) Serr. thoss (S. and H.) : Design and Color in Islamic Architecture, Washington, 1967.
(91) Creswell (K.A.C.) : Early Muslim Architecture in Egypt.
(92) Marçais (G.) : L'Architecture musulmane d'Occident, Paris 1955.
(93) Brawn (P.) : Indian Architecture (The Islamic Periode), Bombey 1942.

4) كتاب ليزين عن العمارة فى افريقيا[94] ـ تونس ـ ولهذا المؤلف المتخصص بالاثار المغربية وشمال افريقيا أبحاث عدّة فى هذا الموضوع.
5) كتاب عن العمارة الايوبية فى دمشق الذي وضعه سوفاجه بالتعاون مع جانين سورديل تومين[95].
6) البحوث التى وضعها عن العمارة فى دمشق[96] أيضا هيرتز فيلد فى سلسلة مقالاته التى نشرها فى « آرس اسلاميكا ».
7) بحوث « بوب » فى مجلداته التى وضعها عن العمارة والفن فى ايران[97]، فيها قسم هام عن العمارة الاسلامية فى ايران.
8) كتاب « البير غابرييل »[98] عن العمارة فى الاناضول.
9) كتاب « اونسال » عن العمارة الاسلامية فى تركيا[99] فى العهدين السلجوقى والعثمانى.

ثالثا : من البحوث الخاصة بالعمائر ذات الوظيفة الواحدة، أو بموضوع معين نذكر الامثلة التالية :

1) كتاب « ابكوشار » عن الحمامات فى دمشق[100].
2) كتاب « فييت » عن مساجد القاهرة[101].
3) كتاب « غولفان » عن العمارة الدينية[102].
4) كتاب « ابردمان » عن محطات القوافل والخانات فى الاناضول[103].

رابعا : ومن البحوث الخاصة ببناء تاريخي بمفرده نذكر النماذج التالية :

1) دراسة « سوفاجه » لمسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى المدينة[104].
2) دراسة « سوفاجه » أيضا لقلعة دمشق[105] وبعده قام كينك[106] ـ الانجليزي بدراسة لهذه القلعة.
3) دراسة « غابرييل »[107] لمسجد الجمعة فى اصبهان.

---

(94) Lézine (A.) : Architecture de l'Ifriqiya, Paris 1966.
(95) Sauvaget et Sourdel : Les Monuments Ayyoubides de Damas, Paris, 1932.
(96) Herzfeld : Damascus, Studies in Architecrure, Ars Islamica, XI — XIV, 1942-1948.
(97) Pope (A.V.) : A. Survey of Persian art, New-York, Londre, 1939.
(98) Gabriel (A.) : Monument Turcs dAnatolie, 2 vol. Paris 1931-1932.
(99) Unsal (B.) : Turkish Islamic architecture in Seljuk and Ottoman — Times, 1071 — Londre 1959.
(100) Ecochard (M.) : Les bains de Damas, 2 vol. Beyrouth 1942.
(101) Wiet (G.) : Les Mosquées du Caire, Paris 1932.
(102) 'golvin (L.) : Essai sur l'architecture.
(103) Erdmann (K.) : Das Anatolisch Karavansery, 3 vol. Berlin 1961.
(104) Sauvaget (J.) : La Mosquée omyyade de Médine, Paris, 1949.
(105) Sauvaget (J.) : Citadelle de Damas, Syria.
(106) King : The defences of the Citadel of Damascus, Archeologia, 94 — 1951, pp.
(107) Gabriel (A.) : Masdjid II — Djum'a d'Isphan, Ars Islamica II, 1933.

4) دراسة « تيراس » لجامع القرويين[108] فى فاس وجامع الاندلس[109] فيها أيضا.
5) بحث « لغرابار » عن قبة الصخرة[110].
6) وعن مدينة القيروان دراسة حديثة بالانجليزية وضعها « سيبريغ »[111].

ويلاحظ بأن هذه الدراسات قد تكون نوعا من الاسهام فى اعطاء معلومات جديدة على بناء معروف ومدروس، وقد تكون دراسة جديدة تستقصى بكل ما يتعلق بالبناء المدروس أو المبحوث عنه. وقد يكون هناك خلاف فى الرأي بين الباحثين. ولذا لا بدّ من الاطلاع على وجهات النظر المتعددة فقد يكون البحث الاحدث مبنيا على كشف جديد وأدلة أقرب للحقيقة العلمية. وفيه تصحيح لنظريات وآراء خاطئة. وقد يكون استكمالا لجوانب لم تبحث فى دراسة سابقة. وأضرب على ذلك مثلا الدراسة الحديثة التى وضعها الاثريون الاسبان (مارتن ألماغرو) باللغتين العربية والاسبانية لقصير عمرة الاموي المطبوعة فى مدريد عام 1975 صدر عن وزارة الخارجية الاسبانية. وكان العالمان موزيل وكاراباسيل هما أول من وضع دراسة عن هذا البناء التاريخى الموجود فى بادية الاردن.

ويلاحظ بأن الدراسة الاسبانية قد أسهمت مستفيدة من تقدم فن التصوير باخراج صور أكثر وضوحا ونشرها بالالوان للرسوم الجدارية الموجودة على جدران المبنى الداخلية، الذي يرجّح بأنه كان حماما لكن الدراسة التاريخية كانت فى رأيي مشوشة وليست مبنية على فهم التاريخ الاسلامى، والعصر الاموي بشكل خاص. فمن الاستنتاجات التى لفتت نظري أن الكتاب يفسر المشاهد فيعتبر المرأة العارية التى تظهر فى هذه المشاهد على أنها زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك، مما لا يمكن قبوله والكتاب يحتاج لدراسة نقدية فى مجال آخر.

وأخيرا لا أستطيع أن أعدد البحوث التى وضعت عن المبانى التاريخية الهامة فهى كثيرة جدّا، ولو أحصيت ما كتب من مقالات وملاحظات عن جامع دمشق الاموي وعن قصر الحمراء وقصر « توب كابو » العثمانى فى استانبول وتاج محل فى أغرا، لملأت صفحات بهذه البحوث.

خامسا : البحوث الخاصة بالعناصر المعمارية والزخرفية

ان مثل هذه المواضيع غالبا ما تعالج فى مقالات فى المجلات الاثرية، أو فى بحوث مختصرة فى الموسوعة الاسلامية. وهى تتناول دراسة عنصر من عناصر الزخرفة أو العمارة، وتتبع نشأته وتطوره أو تحلل تركيبه، ومن أهم هذه الابحاث :

- البحث الذي وضعه العالم الاثري الالمانى المشهور « كونيل » عن « الارابيسك »[112] حديثا وفيه تحليل دقيق لهذا النوع من الزخرفة المعقدة التى تشهد بشكل خاص على نقوش المبانى التاريخية.

(108) Terrasse (H.) : La Mosquée al-Qarawiyin à Fès, Paris 1968.
(109) Terrasse (H.) : La Mosquée des Andalous à Fès, Paris 1942.
(110) Grabar (O.) : The Omayyad Dome of the Rock in Jérusalem, Ars Islamic, III, 1959.
(111) Sebrig (P.) : The great mosque of Kairawan, Londres, New-York — 1965.
(112) Künel (Ernest) : Die Arabeske, Austria, 1977.

- بحث « روزنتال »[113] عن المقرنصات وأنواعها، وكذلك عالم « دييز » موضوع المقرنصات فى مجلة « آرس اسلاميكا »[114] وفى الموسوعة الاسلامية[115].
- وعن النوافذ الملونة نجد بحثا نشره « لافوند »[116] وآخر « للامبير »[117].
- وعن الفسيفساء ولا سيما الفسيفساء الاموية نجد أبحاثا عديدة تتناوله بالدراسة والتحليل والمقارنة أهمها الدراسة التى نشرتها مارغريت فان بيرشيم فى كتاب كريزويل[118] ومقال جان لاسوس[119] وأحدث ما وصلنى عن فسيفساء الجامع الاموي مقالة نشرتها « باربارا فينستر » مؤخرا فى مجلة فنون الشرق[120].

3) الصناعات والتحف والفنون الصغرى

وهو الفرع الرئيسى الثانى لفنون الاسلام كما ذكرنا. وحين اهتم العلماء الاجانب بهذا النوع من الفنون درسوها كجزء لا يتجزأ من الفن الاسلامى. ولذا نجد أكثر الدراسات المتعلقة بهذا النوع من الفنون فى الكتب العامة التى تناولت بالبحث خصائص الفن الاسلامى وآثاره ولكن فيما بعد وحين انتظمت البحوث العلمية واتسع مجال الاختصاص، أخذ العلماء يعالجونها مصنفة بحسب المادة أو الوظيفة. وظهرت دراسات أخرى خاصة بالسجاد وأخرى بالزجاج والفخار والخزف ورسوم الميناتور وغير ذلك.

وفيما يلى نأتى بأمثلة على هذين النوعين من البحوث العامة والخاصة :

- كتاب « ديماند »[121] وعنوانه يتعلق بالفن الاسلامى لكنه يختص بالفنون الصغرى، وعلى مجموعة متحف المتروبوليتان بشكل خاص. وقد طبع أكثر من مرّة بعدة لغات.
- كتاب « كونيل » عن الفنون الصغرى[122].
- كتاب « ميجون » عن الفنون والصناعات[123].
- كتاب « ايتنجهاوزن » عن فن التصوير فى الاسلام[124]، وهو مترجم لعدة لغات.

(113) Rosintal : Pendentifs, Trompes et Stalactites dans l'architecture orientale. Geuthner, Paris 1928.

(114) Diez : A Stalactit analysis of Islamic art, ars Islamica, III, IV, 1936-1938.

(115) Diez : Mukarnas, Encyclopedia of Islam, 1er ed. p. 159.

(116) Lafond : Vitraux, Bull. de la Société Nationale des Antiquités de France, 1957.

(117) Lambert : Vitraux de Couleur ; Mélange G. Marçais, II, Alger, 1957.

(118) Early Muslim Architecture — Vol. I.

(119) Lassus (J.) : Notes sue les mosaïques de Jérusalème et de Damas, Bull. d'Etudes Orientales, III, 1933.

(120) Finster (B.) : die Mosaïken Der Unayyadenmoschei Von Damaskus. Kunst des Orients, VII, 1972.

(121) Dimand (M.) : A. Handbook of the Muhamaden arts, New-York, 1958, Firenze 1972 (ed-it.).

(122) Künel (E.) : Islamische Kleinkunst, Berlin, 1925.

(123) Migeon (G.) : Les Arts plastiques et industriels, Paris 1908.

(124) Ettinghausen (R.) : Arabische Mabrei, Geneve, 1951, 1961.

- كتاب « آرنولد »[125] عن فن التصوير أيضا وله طبعة حديثة.
- كتاب « لين »[126] عن الفخار و « أوتودورن »[127] عن الخزف التركى وكتاب « فييت » عن الحرير الفارسى[128]. و « لمايكل روجرز » دراسات عديدة عن الاثار الصغرى نذكر منها مقاله عن فنون السلاجقة[129]، وكذلك هناك بحث لرايس عن الاثار الاسلامية[130].

الخاتمة فى تقييم البحوث والدراسات الاجنبية

من هذا العرض الموجز لحركة البحث العلمى والنشاطات المختلفة التى قام بها العلماء والاختصاصيون الاجانب من أجل دراسة الاسلام والحضارة الاسلامية وما خلفته هذه الحضارة على مدى أربعة عشر قرنا من الاثار المادية والمتنوعة، وجدنا كيف بدأ اهتمام الغرب بهذا التراث وأقبلوا على دراسته والكشف عن معالمه، وبيان خصائصه ومميزاته، والكشف عن أسراره وخفاياه، مدنا وعمائر وأطلالا، وصناعات وتحفا من كل مادة ونوع ورأينا كيف مالت الدراسات بعد ذلك نحو التخصص وأدى ذلك الى الدقة والعمق والاستقصاء التام لكل نواحى الموضوع، كما أدى الى التوسع فى ميدان التحريات والاكتشافات، وازدياد البحوث، وتزايد المهتمين والمختصين فى الاثار والفنون الاسلامية، من مختلف الجنسيات. وهكذا لم تبق منطقة من مناطق العالم الاسلامى تقريبا الا توجه اليها أناس بالدراسة والتحري عن كنوزها الاثرية وتراثها الفنى. كما لم تبق مدينة أو بناء تاريخى أو قطعة أثرية عرفت قديما أو حديثا الا وقتلت بحثا ودراسة من قبل عالم أو أكثر.

ولا نقول ذلك مبالغين، فنحن لم نعرض سوى نماذج قليلة وأمثلة على نوعية البحوث وأسلوبها، ولو أحصيت لملأت المجلدات.

ولقد رأينا من بين الباحثين علماء كبارا قضوا السنين فى الدراسة والبحث والنشر. فبينهم من كتب فى مواضيع مختلفة، وبينهم من اختص فى فرع من فروع الدراسات.

وقد يتسائل بعضهم عن سرّ هذا الاهتمام بالرغم مما يرافقه من جهد ومشاق ومخاطر، وما ينفق فى سبيله من أموال، ونشير هنا الى ما كانت تتهم به فى الماضى مثل هذه النشاطات الاجنبية وما تحاط به من شكوك، فى أن ورائها أهدافا معادية للاسلام أو مرتبطة بحركة الاستعمار.

ولكن حركة الاستعمار قد انقشعت والاطماع الاستعمارية والامل فى سرقة التراث لم تعد فى الحسبان، ومع ذلك فان حركة البحث ما تزال ناشطة والانهماك فى الدراسة ما فتىء قائما،

(125) Arnold (T.V.) : Painting in Islam, New-York, 1965.
(126) Lane (A.) : Early Islamic Potteru, Londre 1958.
(127) Otto-Dorn (K.) : Türkisch Keramik, Ankara, 1975.
(128) Wiet (G.) : Soirerie persanes, le Caires, 1948.
(129) Rogers (M.) : Recent Work on Seljuk Anatolia, Künst des Orients VI 1969.
(130) Rice (D.C.) : Studies in Islamic metalwork, B.S.O.A.S., XIV – 1925.

ولا سيما أن هناك أناسا من العلماء لا تتمتع دولهم بأية مآرب استعمارية سواء فى الماضى أو فى الحاضر كما أن مثل هذه الجهود كذلك قد بذلت وما زالت تبذل فى مجال الكشف عن آثار العصور الحجرية والحضارات البائدة.

وعلى هذا، ونتيجة لاحتكاكى الطويل مع العديد من العلماء من مختلف الجنسيات واطلاعى على أبحاثهم ومناقشة آرائهم، فقد وجدت أن الروح العلمية هى السائدة، وما هى الا نزعة البحث العلمى والسعى لاغناء الثقافة والمعرفة الانسانية، نجدها تفسيرا لهذا التساؤل. وقد تكون الشكوك واردة فى المراحل الاولى ومع الحركة التى رافقت المطامع الاستعمارية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كالاعمال التي رافقت حملة نابليون، بالرغم مما قدمته من ابحاث جليلة في مجال العلم والاهتمام بالتراث.

ولقد تأملت فى أسباب نجاح حركة البحث التى مارسها الاجانب فى مضمار الدراسات والاثار الاسلامية. وكيف وفق الباحث الاجنبى لامتلاك المعرفة فى مجالات لا تمت اليه بصلة من دين أو لغة، أو ثقافة، بل هى غريبة عنه كل الغرابة. فوجدت أن مقومات هذا النجاح تتلخص فى النقاط التالية :

1 ـ تسلح العلماء حين خاضوا معركة البحث فى الاثار الاسلامية بالثقافات والعلوم المساعدة التى سهلت لهم طريق البحث فى الاثار والفنون الاسلامية. من ذلك، علم الاثار العام وتاريخ الفن وما يتبعها من علوم وتكنولوجية.
2 ـ كان غالبية الباحثين فى الاثار الاسلامية، ولا سيما الرواد الاول منهم من كبار المستشرقين المتخصصين بالدراسات الاسلامية، والاداب الشرقية واللغات والتاريخ. وهذه علوم لا بدّ منها لكى تفهم الحضارة الاسلامية وتراثها وآثارها.
3 ـ أفاد العلماء الاجانب من الثروات الاثرية التى تجمعت لديهم فى وقت مبكر من المتاحف والمكتبات أو من المجموعات والمقتنيات الخاصة.
4 ـ اهتمام الجامعات والمؤسسات العلمية بتدريس الاثار الاسلامية وتخصيص الاعتمادات وارسال البعوث الى أنحاء العالم الاسلامى لمواصلة البحث وجمع المعلومات.
5 ـ استهانة طلبة العلم المستهدفين للبحث العلمى بالمسافات البعيدة وبصعوبة الحياة فى الاقاليم النائية وبما كان يعترضهم من مشاق ومخاطر.
6 ـ تأسيس مراكز البحث والدراسات فى أكثر عواصم العالم الاسلامى وفى الكثير من المدن الاوربية لدعم نشاط العلماء ومدهم بالمساعدات اللازمة، ونجد هذه المراكز تحت أسماء عديدة، مركز دراسات الشرق الاوسط أو الشرق الادنى، أو الدراسات العربية أو الدراسات الاسلامية، أو معهد الاثار الشرقية الخ ...
7 ـ التعاون بين المؤسسات والعلماء من مختلف الجنسيات واقامة الندوات والمؤتمرات الدولية لتبادل المعلومات والخبرات.
8 ـ تنشيط وسائل النشر وتسهيله على الباحثين باصدار النشرات العلمية الدورية للابحاث الصغيرة وبطباعة المؤلفات والكتب ودفع المكافآة المجزية عليها.

ونعود للبحوث الاسلامية فى التراث والفنون والاثار لانها فى مجملها قد خدمت تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية. وسلطت الاضواء على ما تضمه من روائع وقيم، وأبرزت ما فيها من خصائص. واذا ما قيست بنتاج الحضارات الاخرى تبين أنها تدعو للفخر والاعتزاز.

ولا نستطيع إثر ذلك الا أن نقف اجلالا وتقديرا لهؤلاء العلماء الذين أتيت على ذكر بعض نشاطاتهم وشيئا من بحوثهم، لما تحلوا به من الروح العلمية وما تحملوه من مشاق وما بذلوه من جهد. وان أبحاثهم اليوم بين أيدينا ذخيرة طيبة، ومصادر سهلة للباحثين من أبناء الشعوب الاسلامية وغيرهم. فنتتلمذ عليهم ونقتدي بهم ونفيد من أسلوبهم فى البحث وندرك أهمية هذه البحوث وفائدتها ونتلمس نقاط القوة ونقاط الضعف فيها.

وقد نجد فى بعض الابحاث أخطاء وآراء ونظريات قد يثبت عدم صحتها ولكن ذلك لا يستدعى اللوم. وقد يكون مصدر الخطأ صعوبات تأتى من عدم التعمق فى اللغة والتاريخ والاطلاع الكافى على المصادر، وصعوبة فهم الظروف والملابسات وتفسير النصوص.

ومن خلال تجربتى فى البحث والدراسات القليلة التى قمت بها بالرجوع الى البحوث الاجنبية المنشورة من قبل، استطعت أن أكتشف المجالات التى قد يتفوق فيها الباحث الوطنى، ويقف دونها الباحث الاجنبى، وتتلخص فى النواحى التالية :

1 ـ القدرة على قراءة النصوص بشكل أفضل.
2 ـ فرصة الاطلاع الاوسع على المصادر والوثائق والمخطوطات.
3 ـ الفهم الادق لنصوص المصادر والوثائق وتفسير مضمونها ومصطلحاتها.
4 ـ سهولة تناول الموضوع بسبب القرب من مادة البحث، وسهولة فهم الوظائف والاغراض والظروف الماضية والحاضرة التى تحيط بموضوع البحث.

وهناك أمثلة عملية توضح هذه الحقيقة نجدها فى الدراسات التى قام بها الزملاء والباحثون العرب. واكتفى الان بايراد شيء من تجربتى الشخصية.

أولا : الجامع الاموي. لقد أجريت تحريات عديدة فى هذا البناء التاريخى مكنتنى الكشف عن حقائق جديدة وتصحيح نظريات آمن بها كثيرون من علماء الاثار من ذلك نظرية اقتسام الكنيسة، أي كنيسة يوحنا التى كانت قائمة يوم الفتح. ولقد أوحت هذه النظرية لبعضهم الى اعتبار حرم الجامع هو الكنيسة بعينه، لم يفعل الوليد سوى ازالة جدار التقسيم واضافة المنبر والمحراب.

ولقد تبين لى بأن مصدر الخطأ هو اعتماد العلماء على تفسير وترجمة قول المؤرخ ابن عساكر ترجمة سطحية. لقد قال ابن عساكر باقتسام الكنيسة فعلا لكن تبين لى بأن ما قصد به الكنيسة هو المعبد (معبد جوبيتر) الذي كانت تحتل كنيسة يوحنا جانبا منه. وعلى هذا الاساس يصبح الوضع منطقيا. اذ لا يعقل أن يصلى المسلمون والمسيحيون داخل قاعة واحدة. وفعلا فقد اقتسم المسلمون المعبد وأنشأوا مسجدهم (مسجد الصحابة) فى الجانب الشرقى منه[131] ...

(131) انظر كتابى جامع دمشق الاموي، بدمشق 1976.

كذلك تمكنت من اجراء اسيار داخل الجامع المذكور تكشفت عنها كثير من الحقائق، لم يكن ليتمكن من اجرائها العلماء الاجانب.

ثانيا : لدى رجوعى للنصوص والكتابات المنقوشة على المبانى أفدت كثيرا من هذه النصوص التى نشرها العلماء، لكنى وجدت فيها أخطاء وصححت بعضها[132] ونشرته، مع أنى أعترف بأن قدرتى على استقراء النقوش أضعف بكثير من أولئك العلماء الذين تولوا نشرها. لكن الذي ساعدنى على التعرف على النص الصحيح هو فهم النص ومعرفة سياقه وما يؤدي لاستقامة المعنى ...

ثالثا : حين درست قلعة دمشق[133] اعتمدت على البحثين القيمين الذين نشرهما سوفاجه وكنيك، وعلى ما كتبه عنه فاتزنجر وفولزنجر بما تقدم ذكره. لكننى اعتمدت على المصادر العربية العديدة التي رجعت إليها من دحض النظرية التي آمن بها جميعهم في ان قلعة دمشق قامت على انقاض حصن روماني، واتيت بالادلة العديدة (اثنا عشر دليلا) على ان قلعة دمشق التي بناها السلاجقة كانت اول حصن يشيد في دمشق.

رابعا : حين راجعت ما كتبه فاتزنجر وسوفاجه عن التكية السليمانية والمدينة الملحقة بها التى يطلق عليها أهل دمشق حديثا اسم التكية السليمية وجدت بأنهم نسبوا هذه المدرسة خطأ الى السلطان سليم (الثانى). بينما توضح لى ما لا يدع للشك اعتمادا على المصادر العربية والمخطوطات التى عثرت عليها بأنها من بناء السلطان سليمان. كذلك الخطأ نفسه وقعوا فيه جميعا حين ارخوا تكية أخرى فى صالحية دمشق شيدها سليم الفاتح ونسبوها الى السلطان سليمان[134].

خامسا : فى بحث وضعته مؤخرا عن قصر الخير الشرقى الاموي[135]. حققت فيه الاسم الاصيل لهذا القصر، واتضح لى أن اسمه القديم هو « الزيتونة » وذلك اعتمادا على عدد من النصوص التى عثرت عليها صدفة، وصححت فى ذلك أخطاء كرسها الاثريون الاجانب فى ذلك.

سادسا : ضريح نور الدين : لقد ساعدتنى ظروف عملي فى الاثار والمتاحف أن أكتشف أشياء لا يجرؤ على اكتشافها والتحري عنها من الباحثين الاجانب فى الاضرحة والقبور لما تتمتع به من قدسية. ذلك أنى أقدمت بجرأة على الكشف عن ضريح بمقبرة الباب الصغير فى دمشق ينسب الى الصحابى الشهيد جعفر الملقب بالطيار الذي قتل فى

---

(132) انظر : Note d'Epigraphie Arabe, B.E.O. Tome XX, 1967.

(133) تجري طباعة هذا الكتاب من قبل وزارة الدفاع السورية، وهو على وشك الصدور فى أواخر عام 1979، ويقع تجديد أربعمائة صفحة واردة بالخرائط والصور.

(134) انظر : مجلة الحوليات السورية، المجلد السابع لعام 1957، والمجلد الثامن والتاسع لعام 1958 ـ 1959.
وانظر أيضا :

(135) انظر : الحوليات الاثرية، المجلد 27 لعام 1977..

غزوة مؤتة والضريح يؤمه الناس ويتبركون به. لكني شككت بصحة وجوده في هذا المكان فأزلت الكسوة الخضراء والعمة ثم أزلت الصندوق الخشبي من تحتها ولم يكن يتمتع بأية صفة أثرية. واكتشفت أن القبر لا يمت بصلة الى جعفر الطيار وانما هناك شواهد هامة بنصوصها التي ترجع الى القرنين الرابع والسادس.

شيء مماثل قمت به حين تحريت على ضريح السلطان محمود بن زنكي (نور الدين الشهيد) الموجود في المدرسة النورية الكبرى في دمشق. وقد ظل علماء الاثار يضعون الدراسات والبحوث دون أن يتمكنوا من التعرف على حقيقة الضريح المغطى ايضا كما هي عادة الاولياى بالكسوة الخضراء والعمة. لكني أزلت هذه الكسوة وعثرت تحتها على ضريح عليه طبقة من الطين مزينة بخط مذهب يرجع الى أقل من قرن، أزلت هذه الطبقة فعثرت على الضريح الاصيل الذي يرجع الى القرن السادس الهجري وهو من الجص الغني بالنقوش الرائعة. وظل الضريح الى اليوم على حالته الاصلية.